

حكمة

تفريغ محاضرة

كيف يفتن الإنسان نفسه

رواء الاثنين | د. هند القحطاني



من
نحن ؟

نحن مجموعةٌ نهلنا من معين محاضرات د. هند بنت حسن القحطاني،
التي هطلت بروائها على قلوب السامعين، ولما شهدنا ذلك الهطل
غيثاً مُغيثاً مريئاً، عملنا بكلِّ جدٍ وحبِّ على جمع المحتوى وتنظيمه ونشره
ليسيلاً عذباً إلى قلوبكم

نسعدُ بملاحظاتكم واستفساراتكم على البريد الإلكتروني:

info@rawaa.org

**إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله
من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن
يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله الا الله وأن محمدًا رسول الله.**

أما بعد:

قبل البدء

قبل أن أبدأ بحديث اليوم الذي قد يكون له علاقة من قريب أو بعيد بخبرين
فجعنا بهما في الأيام الماضية، وهذه طبيعة الدنيا، قد لا يمر أسبوع أو أسبوعين إلا ونفجع
برحيل أحد، أولهما الشاب المنشد الكويتي الذي توفي،
وسبحان الله قد لا نعرف اسمه، لكنه اشتهر نشيده "فرشي التراب" والتي كانت من الأناشيد
المؤثرة لأنها من الأشياء التي لا نحب الحديث عنها لمنظر الدفن وحمل الجنازة والقبور، والأهل
الذين ماذا عساهم أن يفعلوا وراء ميتهم، فلما تسمع هذ النشيد الآن، وتعلم أن الذي أنشدها
بصوته هو يعانيها الآن، يعني هو يمر بكل
المراحل التي تكلم عنها، أصبح يعيشها حقيقة،

فما عادت هي وعظ، ولا هي أبيات من القصائد تقال، ولا هي تمثيل، بل أصبحت حقيقة،
فسبحان الله توفي هو بحادث سيارة، وبالتأكيد لم يكن يعلم أنه سيرحل،
وبالتأكيد لم يكن يعلم أن الناس الآن لا تذكره إلا بهذا النشيد الذي أنشده،
قد نكون لا نعرف عنه أي شيء في حياته حتى أعماله الخيرية،
التي بدأ الناس في الحديث عنها، فشواهد الأعمال التي
تبقى لك من الضروري أن تراجع نفسك بها.

والحدث الآخر الذي فجعنا به لأخت لنا وإن كنت لا أعرفها شخصيًا،

ولكن الكل يشهد لها بالخير، هي الأستاذة **خلود السحيمي**، من الذين توفوا في خلال هذه الأيام الماضية، ويعني سبحانه الله لم يكن حادث سيارة، ولا مرض استمر لمدة أشهر لا، إنما حرارة لمدة يوم، وفي اليوم الآخر صار تطور آخر، وفي اليوم الثالث توفيت. فأنت لا تعرف نهايتك كيف يمكن أن تكون؟

ولا استعداداتك التي من الممكن أن تفعلها حقيقة لما تسمع مثل هذه الأخبار، لا يمكن أن تمر عليك بشكل طبيعي وتستمر حياتك بشكل عادي! فمن الضروري أن تراجع نفسك، وحساباتك، وتفكر في الذي يفضبك من هذه الدنيا؟ وما الذي يحزنك؟ وما الذي سيبقى لك أساسًا؟ وما الذي سيكون شاهدًا لك من أعمالك؟ وما الأشياء التي تستهلكك؟ وما الأشياء التي تفني فيها صحتك وعمرك؟ ومن هم الناس المؤثرون في حياتك؟ هذه الأسئلة من المهم أنك تراجعها، لأن الدنيا محطة ودار رحيل وكأن الرحيل دائمًا للطيبين، كأننا نعيش في عالم الذي يرحل عنه هو الأطيب فالأطيب فالأطيب، كأن الله يختارهم ويصطفهم، وبالفعل هو من علامات الساعة لأن القيامة لا تقوم إلا على شرار الخلق، **فالتصفية** هذه موجودة ومستمرة إلى قيام الساعة.

ماذا لو؟

السؤال الذي سأبدأ فيه حديثنا اليوم هو: ماذا لو قيل لك أنك سوف تموت غدًا، ماذا ستفعل **الليلة**؟ وتخيلوا معي لو بالفعل رأيت رؤيا، ومثلاً فسرتها أن لك 24 ساعة سيوافيك بعدها الأجل، فما الذي من الممكن أن تفعل في هذه اللحظات؟ وما الذي ستفكر به في خلال 24 ساعة؟ فلا تتخيل أنك من الممكن أن تضيعها في نوع من المباح، لا أقول الحرام، فحتى وقت المباح، هل تتخيل نفسك ستأكل أو ستنام؟

أو أن هناك أشياء أكثر توّد فعلها لأن المتبقي من عمرك هو 24 ساعة،
وطبقًا هذا التصور افتراضي، لأنه لن يكون حقيقة!
حتى من يرى من الناس أنه سيموت أو يصيبهم أذى أو حادث سيارة،
واستيقظ من النوم وهو خائف، ويظن أن هذا إنذار من الله له، لكن الشيطان والنفس
تمهل صاحبها وتعطيه طول الأمل، وتشعره بأن هذه وسوسة وليست حقيقة،
وقد يضع له تفسيرًا آخر، أي شيء غير أن يكون فكرة أن المتبقي لك ساعات!
وماذا عسك أن تفعل لو كان المتبقي لك 24 ساعة فعلًا؟

موسى عليه السلام قال: **{وَكَتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً}** [الأعراف: 156]،

ولما أقول موسى فأنت تتخيل حياة حافلة، قصته مع فرعون في مدين،
ومجاهدته لبني إسرائيل، والطور، وكل الأحداث القوية في حياة موسى عليه السلام،
وهو نبي من الأنبياء الخمسة أولي العزم، فتخيل أن موسى هذا النبي القوي الذي جاهد
بني إسرائيل وجاهد فرعون حتى هلك، هذا النبي كانت دعوته أن يتقبل الله منه، أن يكتب له
فقط حسنة، هو طبقًا لم يكن دعاء موسى فقط، بل كل الأنبياء:

{رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً} [البقرة: 201]،

فدعوات الأنبياء دائمًا تدور حول هذا الصدد أن تتقبل منا يا رب ولو حسنة واحدة فقط،
إدًا عندما نقول أنه بقي لك 24 ساعة فقط، وتفكر فيها بالكم الهائل من الحسنات التي من
الممكن أن تعملها، صدقات، صيام، صلاة، بر، أعمال صالحة، مسامحة، عفو،
كل المعايير حينها ستختلف، وستنظر للعالم بمنظار مختلف، ستتسامح مع الناس،
تبدأ عبارات الأسف، والتوديع، والرغبة في أن يتذكر الآخرون بالخير لا بالشر،
لأن كل الذي بقي لك 24 ساعة! وموسى عليه السلام لما قال:

{وَكَتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً} [الأعراف: 156]،

كان يعلم أن الله لو تقبل منه حسنة واحدة فقط، لكان من المتقين، لأن الله يتقبل من المتقين.

حسنة متقبلة هي خير:

طيب لماذا كان هذا الموضوع بهذه الأهمية؟
لماذا لم تكن الآمال أكثر من حسنة؟ لماذا لم يكونوا يدعون الله بجمال من الحسنات؟
أو بأشياء أخرى؟! لأن مجرد أن تكتب لك حسنة، فهذا شيء ليس سهلاً،
ولذلك الحسنات من الممكن أن تفعلها ولكنها قد تُسمح بسيئة،
يعني تلحق وراءها سيئة وأنت عندك حسنة نعم، لكن هذه أذهبت هذه،
﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: 114]

فالسّيئات تذهب الحسنات، كأنها حرب دول، أحدهما يغلب والآخر يهزم،
وقد تعمل حسنة ثم تحبطها، بمنك أو ذكرها للناس، مثلاً رأيت مسكينة فدفعت لها خمسمئة،
وما كان عندي غيرها! ويقولها ليس لتكون قدوة ولا للتشجيع على عمل الخير،
وإنما لتظهر لهم حنيتهم، أو أنه صاحب أعمال خير، وأنه ليس بخيل،
وأن داخله طيب فلا تحكموا من الظاهر، فأحياناً يعمل الإنسان حسنة في وقتها،
ثم لا يزال يُسمّع بها حتى يحبطها، وأحياناً تعمل حسنة وتعجب بها وتقول في خاطرك يا ربي من
أحسن مني؟ يعني أنا فعلت وفعلت ولا أحد يدري عني، فيعمل الحسنة ولكنه يعجب بها،
فيذل بعمله على الله، كأنه يقول يا ربي
ما عندك عبد مثلي! أنا عملت أشياء غيري لا يعملها! والعياذ بالله..

إذاً فمجرد أن تكتب لك حسنة فهذا شيء عظيم، فحتى لو بقيت لك 24 ساعة، وظننت أنك من
الممكن أن تملأ ميزانك من كل الحسنات، فحتى هذا غير مضمون،
أن يتقبل الله منك هذا الكم الهائل من الحسنات،
فأنت لا تعرف أصلاً من مئة حسنة كم حسنة سوف تقبل عند الله عز وجل،
طيب لماذا لا نعرف أي من الحسنات هي التي ستقبل؟

نحن في حياتنا العادية نعمل حسنات بالتأكيد، نصلي، نبر والدينا، نعمل خيرًا، نبتسم، نتعامل بالأخلاق الحسنة، فهذه كلها مجموعة حسنات، لكن في المقابل أيضًا لدينا سقطات، وهي ذنوب ومعاصي ولكن سأسميها سقطة لأنك بها تعثرت، فهذه السقطات والعثرات الواحدة تلو الأخرى، لا بد أن تنتبه لها وتضع عليها دائرة حمراء، وتساءل: أنا لماذا فعلت هذا الذنب أو المعصية، أو أي اسم آخر كانت فهذه فتنة من الشيطان فتتك بها، إذا نحن لما نتكلم عن الذنوب أو السيئات، فنحن نتكلم عن فتن يفتنك بها الشيطان، إلى أن يسقطك ويعثرك بها.

إذا حديثنا اليوم سيكون عن هذا التعثر، والفتن وكيف يسقط فيها الإنسان، والمفاجأة أن لا أحد يسقطك، إنما الإنسان هو من يفتن نفسه.

في موقف مهول:

يقول الله تعالى في كتابه ويحكى عن مشهد من مشاهد يوم القيامة، وهذا المشهد استشهدنا فيه كثيرًا في دروس ماضية، لأنه من المشاهد المؤلمة حقيقةً، والتي يراجع فيها الإنسان نفسه لذلك الموقف بالذات، فيوم القيامة كل أهواله بكفة، والمرور على الصراط فقط كفة أخرى، فالناس في حشرهم، في الحساب، في تقريب الجنة والنار، هذا كله في جهة، والمرور على الصراط هذا جهة أخرى، لأن هذه اللحظة التي يبدأ الإنسان فيها يجازى على أعماله، والصراط نعرف أنه أحد من السيف، وأدق من الشعرة، وستقول كيف؟ لا يمكن! ولكن الحديث صحيح وثابت والروايات صحيحة، فخذ شعرة من شعراتك واسحبها من الجهتين، وتخيل كيف أن إنسان سيمشي على مثل هذه **الدقة!**

ولكن الله الذي أمشانا على قدمين وأمشى الأفيال والنملة وأمشى الجراد والبعوض، يمشينا يوم القيامة، بل هناك مشاهد صحيحة واردة في الآثار أن هناك أناس يوم القيامة ستمشي على رؤوسها، ينكسهم الله عز وجل فيمشون على رؤوسهم يوم القيامة نكايّة بهم،

المهم، كلنا نعرف أن هناك منطقة فاصلة قبل أن يتجاوز الناس الصراط، اسمها **منطقة الأنوار** أو توزيع الأنوار، معروف فيها أن هذه المنطقة يوزع فيها الملائكة أنوارهم، والحديث فيها أن منهم من يمشي ونوره مثل الكوكب، ومنهم من نوره كالشمس، على حسب إيمانه الموجود في قلبه، ومنهم من يمشي ونوره مثل السراج، كأنه يمسكه معه، لأن النار محرقة لكنها مظلمة، فهي نار لكن ليس لها نور، فهذا يعني نكاية وشدة في العذاب، فكل إنسان يمشي على نار مظلمة على صراط، وهذا الصراط أدق من الشعرة، وأحد من السيف، ستمشي عليه وتحتاج إلى نور، والنور الذي تأخذه هو نور إيمانك الذي كان معك في الدنيا، الذي كان يصدك في لحظات الذنب، في لحظات الفتنة، في لحظات المعصية، لما تكون في مفترق الطرق، يمين أو يسار، فرصتان في الحياة، أو عندك عرضين لوظيفتين،

فما الذي كان يوقفك ويجعلك تختار خياراك؟!

حتى يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

(ومنهم من نوره بإبهام رجليه يضيء تاره ويطفىء تاره)،

يعني حتى إبهام الرجل نوره على حجمه فقط، فمن بين كل شيء فيه،

هو هذا فقط الذي ينير له، وأيضا نوره ليس تاما، وإنما يضيء مرة ويطفىء مرة،

لأن نوره بالدنيا بالكاد يأتيه، تأتيه سنة يعمل فيها خيرا فيكون لديه نور، وسنة يلهو فلا نور عنده،

يوم نوره مرتفع، ويوم منخفض، وإلى آخره، والناس في هذا المشهد بالآلاف والملايين،

فتخيلوا من عصر آدم عليه السلام إلى يومنا هذا الناس تجوز على الصراط،

فلا تعرف كيف سنجوز الصراط! هل هي بالأحقاب؟

هل هم من كانوا يعرفون بعضهم في عام معين سيكونون مع بعضهم؟

لكن الواضح من سياق الآية أن الناس لما يمشون على الصراط سيعرفون بعضهم،

فالمجموعة التي تمشي الآن هم يعرفون بعضهم في مجتمع واحد،

يلتفتون لبعض فهؤلاء أقارب وهؤلاء أصحاب وزملاء عمل، فالواضح أنهم يعرفون بعضهم،

ويدور بينهم نقاش يحكي عنه الله عز وجل،

فيقول الله عز وجل عن هذا المشهد لما توزعت عليهم الأنوار في منتصف الطريق، ومجموعة من هؤلاء كانت معهم أنوار، فأطفئت أنوارهم تمامًا، فجلسوا فوق النار، على هذا الصراط الذي هو أحد من السيف، وأدق من الشعرة، وهم بلا نور، فالنهاية واضحة أن مصيرهم **السقوط**، فهؤلاء لما خدعوا الله في الدنيا، وكانوا يظنون أنهم مسلمين، فجاؤوا بأنوارهم لكن أنوارهم ما تمت ولا كملت، فلما أطفئت أنوارهم صاروا يلتفتون إلى أصحاب لهم من الناس الذين كانوا معهم في مجتمعهم، الذين تمت أنوارهم وأضاءت لهم عتمة الطريق، فيقول الله عز وجل عنهم أنهم ينادونهم ألم نكن معكم؟ يعني انتظرونا لتتوروا لنا الطريق من النور الذي معكم، لقد كنا معًا في الدنيا في مجتمع واحد، وعملنا معًا، أو بيننا القرابة والدم، ألا تعرفوننا؟ فيقولون لهم: ﴿يَنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ * فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: 14-15].

الآن في هذا الموقف لما ينادونهم: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ؟﴾ فهؤلاء يلتفتون عليهم، فلما يرون أن أنوارهم أطفئت يعرفون أن ثمة مشكلة فيقولون: ﴿بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾، فهناك من الخطأ الذي فعلتموه سابقًا لم يمكّنكم من العتاب الآن، ولا نستطيع أن ننقذكم، لذلك قالوا لهم:

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

فمعناها أن هؤلاء لم يكونوا كفار، والنقاش الذي حصل ليس بين مسلم وكافر، بل هؤلاء أناس ختمت جوارزاتهم بـ **”مسلم“** والديانة الإسلام، وواضح أنهم كانوا في مجتمع واحد، ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾

يعني كنتم تؤملون من الدنيا أكثر، وأن الحياة لا زالت طويلة وأنه بقي لديك من الوقت لتستمتع أكثر، وأنت ناسٍ تمامًا ماذا يمكن أن يحصل لك في آخرتك!

فكيف تغرّك الأمانى ونحن لا نزال كل بضعة أيام نتفاجأ برحيل أحد؟
ونسرع خبر أن فلان توفي؟ فكذلك يعني أنك أنت لا تعلم متى يأتي دورك في أي اللحظات!
فنحن في كل يوم ينقص منا واحد،

﴿وَعَزَّزْتُكُمْ الْأَمَانِيَّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَزَّزْتُكُمْ بِاللَّهِ الْقَرُورِ﴾!

إذًا مهم أن نعرف كيف يفتن الإنسان نفسه؟ ولما قالوا لهم:

﴿وَلَا كُنْتُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾،

فمعناها أنه ليس الشيطان هو الذي فتن، وليست القضية أنها فعل فاعل آخر لا،
نحن مشكلتنا في أنفسنا، فدعونا اليوم نقف عند هذه النقطة، كيف يفتن الإنسان نفسه؟
وقد تستغربون أن هناك مجموعة كبيرة من الآيات نبهنا الله عز وجل فيها في كتابه، وقد نمر
على هذه الآيات، وما استوقفتنا مرة أو تبهنا أننا نحن المخاطبون بها، لأنه قد تمر لحظات في
الحياة تكونين ممن تعينهم آية قرآنية ولكنك لم تربطي بينها وبين الموقف!

كيف يفتن الإنسان نفسه؟:

1. يقول الله عز وجل: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِئْتَةً﴾ [المائدة: 71]

فهذه أول نقطة، أن يظن الإنسان أنه ليس هناك فتنة، وتظن أن الشيء الذي فعلته لن يعثر
ولن يسقطك ولن يلدخك ولن يفوز فيه شيطانك، فعلته باستسهال له، وكنت تظن أنه حقير
ولكن الحقيقة أنه هو الذي أسقطك، أو أن تظن أن الذنب الذي تفعله ليس أسوأ ذنب
في الدنيا، وأنه قد يكون في فعله خلاف، وأعطيت نفسك ألف عذر،

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِئْتَةً﴾،

فالله عز وجل يحكي عن هؤلاء أن من الناس من تلطخ نفسها، ولا تفرق نفسها بهذا الذنب لأنها
في البداية، أرايتم الرمال المتحركة التي تراها في البداية كأنها سطح عادي تمشي عليها بشكل
طبيعي ثم تبدأ تغوص فيها؟ وهكذا بعضهم يصل لمرحلة متقدمة لأنه في كل مرة كان يظن أن
خطوة واحدة للأمام لن تضر وسوف أرجع، وهل في الرمال المتحركة جزء يابس؟

فهؤلاء يغامرون تقول سأرى إلى أي درجة سأغرق،

ثم لو أحسست بالخطر فقفزة واحدة **تنقذني!** وهذا بالفعل ما فعله نحن لما نزل بالذنب الذي هو مثل الرمال المتحركة، ونظن أننا قادرين على **إنقاذ** أنفسنا بحجة أن لدي عقل، وقادرة على التحكم بنفسي، وأني سأذهب للهو والانبساط قليلاً ثم سأقف عند حد معين، وهذا الحد المعين أنت لا تستطيع أن تملكه، فلا أحد يضع الزيت قرب النار ويقول أنا سأتحكم بالحريق! فأنت لن تستطيع التحكم متى ما أمسك الزيت بالنار وشبّ فيه، لذلك هنا ينتهي الموضوع فلا تقول أنني سأقترّب ثم سأستطيع أن أنقذ نفسي، لا! ولذلك هؤلاء الذين **﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾** غاصوا بذنب بسيط،

كان يعتقد أن موضوعه سهل وأنه كالرمال المتحركة ولكن لما دخل فيه اكتشف أن العمق أعمق بكثير مما يتخيل، فالنزول سهل، لكن الخروج صعب، فلا يستسهل الإنسان أن ينزل في الذنب، إذًا **فكيف يفتن الإنسان نفسه؟**

بظنه أن ما يقوم به ليس فتنة أساسًا وليس ذنبًا أساسًا .

أحيانًا يذنب الإنسان بذنب، ثم يقول أنا سأرجع وأستغفر، ثم يذنب الذنب، ثم يرجع ويستغفر، ويذنب ويرجع ويستغفر، وهكذا، الآن نحن نعلم يقينًا أنه طالما هو يتوب ويستغفر فإن الله يقبل توبته ويغفر له، لكن في المقابل ضع في بالك أنك لَمَّا تربط نفسك وتشد نفسك بقماش قوي، ليس كمثّل ربطك وشدك بقماش **مهلهل**، والقماش هذا ليس قماشًا، بل هذا **إيمانك**، فإما أن يكون هذا الإيمان مهلهلاً تخرق من كثرة ما خرقتة بالعودة للذنب، فحالك كمن تاب وأذنب ورجع، تاب وأذنب ورجع، وهكذا دواليك طوال الوقت، في النهاية أنت تعيش في إيمان مرّقع مهلهل ضعيف، أنت شقّقتة من كل جهة وكل هذه ما كانت توبات صادقة أنت تتوبها ليُشدّ إيمانك مرة أخرى، لم تعطه الفرصة حتى يلتئم، وهنا الفرق بين هذا الإنسان وبين الإنسان الذي دائماً يحافظ على إيمانه، ولو شعر في لحظة من اللحظات أنه شقّ إيمانه، وحتى لو كان هذا الشق كبيرًا وفعل ذنبًا كبيرًا جدًّا،

لكن يتوب بعده توبة ترجع إيمانه أضعافًا مضاعفة،
 لذلك فالمرأة التي زنت، وجاءت للنبي عليه الصلاة والسلام وقالت:
 يا رسول الله طهرني، ثلاث سنوات وهي تأتي للنبي عليه الصلاة والسلام،
 يا رسول الله طهرني طهرني، يقول النبي عليه الصلاة والسلام بعدما رجمت وبعدها ماتت
 وطلّى عليها النبي عليه الصلاة والسلام: (لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قَسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
 لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ تَعَالَى؟) [صحيح]،
 ففي بداية القصة كنا نتكلم عن امرأة زنت، وفي نهاية القصة عن إنسانة تابت توبة لو وزعت
 على أهل المدينة الذين فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي لو سعتهم هم أيضًا،
 فما الفارق بينهم؟ الفارق في التوبة، وأنت من تملك الخيار!
 فأول نقطة في كيف يفتن الإنسان نفسه؟ أنك تظن أن الطريق الذي مررت فيه كان من
 الممكن أن تتوقف فيه عند حد، والحقيقة أنك لا تستطيع أن تقف،
 فمتى ما شعرت أنك مثل الماشي على الرمل المتحرك وأنت تفرق، فأنقذ نفسك
 واخرج قبل أن يشتد فيك الذنب، فهذه أول نقطة.

2. يقول الله عز وجل:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾

[العنكبوت: 10]

فالنقطة الثانية في كيف يفتن الإنسان نفسه؟ لما يكون مقام الناس عندك أعظم
 من مقام الله عز وجل! ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ فهم يقولون أنهم يؤمنون بالله،
 لكن في الحقيقة أنه إذا أُوذِيَ جعل فتنة الناس كعذاب الله، وهذا يعني أن قيمة الناس أعظم
 في حياتهم من قيمة الله عز وجل، فليس مهمًا عنده رضا الله، وليس مهمًا عنده أن الله يسمعه أو
 يراه، كان المهم عنده فقط رضا الناس هؤلاء فقط، الذين يرونه، وبالتالي فلو غضب عليه الناس
 فحياته من الممكن أن ترتبك كلها! لكن غضب الله عليه من فوق سبع سماوات لا يهمه!

وفي ضد هذا أبيات جميلة لأبي فراس الحمداني يخاطب بها ربه:
 فَلَيْتَكَ تَحُلُو، وَالْحَيَاةَ مَرِيرَةً *** وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالْأَنَامَ غَضَابُ
 وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَامِرٌ *** وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابُ
 إِذَا صَحَّ مِنْكَ الْوَدُّ فَالْكُلُّ هَيْئٌ *** وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ

ولو قلت له: أن الله لا يرضى عن الشيء الذي تفعله، فلا يهمه، ولا يرجف فؤاده،
 ولا يقف شعر جسمه في لحظة فكر فيها أن الله ينظر إليه، فلا شيء من ذلك عنده
 ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾
 فالعامل المهم عنده هو أن الناس لا يفتنونه، وأن الناس لا ينظرون إليه،
 ماذا عن الله عز وجل؟ وعذاب الله؟ وفي الآخرة؟

كل هذا أسقطه من الحساب تمامًا! ولذلك ورقة بن نوفل يقول:
 لما جاءه النبي عليه الصلاة والسلام يحكي له ما حصل له في غار حراء لما نزل عليه جبريل عليه
 السلام، فقال له ورقة بن نوفل: يا ليتني أكون فيها جذعًا إذا يخرجك قومك،
 فقال النبي عليه الصلاة والسلام وهو لم يكن يعرف ولم يتخيل وهو الذي كان يقال
 عنه في ذلك الوقت محمد الصادق الأمين، الذي يستأمنه أهل قريش على أماناتهم
 فلا يضعونها إلا عنده، وهو الذي لما صارت حادثة نقل الحجر ورأوا محمدًا قالوا:
 نعم الرجل، وكل القبائل وقفت عند رأيه، ما كان يتخيل النبي عليه الصلاة والسلام
 وهو الذي جاوز عمره الأربعين بهذه السمعة أنه سيصل إلى مرحلة الناس تخرجه وقريش
 تطرده من مكة فقال النبي عليه الصلاة والسلام: "أومخرجي هم؟!"
 يعني أنا سأعرض لشيء إلى درجة أنني أنطرد من مكة؟! قال ورقة: نعم إنه لن يأتي أحد
 بمثل ما أتيت به إلا أودى، كان بإمكان النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الموقف
 أن يقول إذا كان الدين صعب، وإذا كانت قرارات الدنيا صعبة،

فهذا يعني أنني لن أستطيع أن أكمل الطريق، وأن قومي والناس أهم عندي!
 لكن النبي عليه الصلاة والسلام لم يجعل عذاب الناس وفتنة الناس كعذاب الله،
 فاختر ما عند الله على ما عند الناس فاستمر وطُرد النبي عليه الصلاة والسلام من مكة
 وخرج منها طريداً ومهاجراً إلى المدينة، وتستمر القصة إلى نأثي نحن بعد قرون

نقرأ في القرآن ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: 1]

الذي طرده، ثم نسمع في الأذان خمس مرات في كل الدنيا في كل كوكب الأرض
 "أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله" فالعزة ليست في اللحظة
 التي أنت تقرر فيها في لحظات ضعفك أن الناس هم الأهم!

قال عليه الصلاة والسلام: (مَنْ أَرْضَى اللَّهَ بِسَخِّ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ النَّاسَ وَمَنْ أَرْضَى
 النَّاسَ بِسَخِّ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ) [صحيح].

وفي هذا كله هي قراراتك الشخصية، فالمهم هنا أن تعرف أين فتنتك

التي دخل عليك منها الشيطان!

قلنا الأولى هي: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾.

لما ظن أن الطريق كان يستطيع أن يمشيه من غير أن يفتن نفسه.

والثانية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾.

3. أن يكون في قلبه نقطة سوداء وإن شئت قل بين قوسين (وسخ، قذارة)

أو أي شيء يتقذره الناس ويستتكفون منه أن يكون فيهم، لكن هذه النقطة الموجودة

التي يستكف منها الإنسان ويستقذرها كانت موجودة في قلبه لم تتطهر!

يقول الله عز وجل: ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِن اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرْ

قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: 41]

فلا هو الذي نال خيراً في الدنيا ولا في الآخرة، فلا شيء في الدنيا يستحق أن يوصلك لهذه الآية

﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ فكيف يمكن أن توصل نفسك إلى أن تفتنها فتكون من أهل هذه الآية!

ولمن يسأل كيف أنقذ نفسي؟

نقول ارجع إلى قلبك وأجرِ عمليات جراحية لكل النقاط السوداء الموجودة، لا تسمح لنفسك أن تعيش وهي موجودة، النقاط السوداء ليست مجهولة، كل واحد منا يعرف نقاطه السوداء، ومهما تزيننا لبعضنا، ومهما تبسّمنا لبعضنا، أنت تعرف النقطة السوداء الموجودة في حياتك، والتي تستحي قولها لأي أحد، والتي لا يسرّك أن تقولها لأي أحد، هذه النقاط السوداء الموجودة لا تتعايش معها وتقول: طبيعي، وسأفعل أعمال أخرى صالحة، سأصدق، سأصوم، سأبر بأمي وأبي، كل هذا لن يغطي النقاط السوداء، يقول الله عنهم الذي لم يطهروا قلوبهم في الدنيا: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ يعني سيعيشون في الدنيا بخزي عاجلاً أم آجلاً ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: ينتظرهم.

إذا ما الذي يجعل الإنسان يعيش هذه الحياة المهولة؟

أي سعادة التي تتكلم عنها؟ أي الشهوات وأي الذنوب تجعلني أدخل في هذه المتاهة كلها! فهذه القذارات الموجودة في القلوب لا بد أن تتطهر، ولا بد أن يعمل لها عمليات جراحية، وأنت هنا كأنك تتكلم عن علاج كيماوي حارق، تحرق به قلبك ليتنظف، لأنه لو لم يتنظف فهي مثل الخلايا السرطانية.

دمك كان أبيض ممتازاً، كنت أظهر من الفضة،

لكن هذه النقطة السوداء التي لم تنظفها تجدينها تكبر وتكبر، حتى لو حصل لك أي جرح، مثلاً في رجلك ورأيت النزف بدم أسود! ما الذي غير دمك الأبيض الطاهر؟ ما الذي غيرك من هذه الفتاة إلى أن صرت فتاة أخرى! كنت فيما مضى فتاة طيبة صالحة، ثم ماذا حصل؟ إذاً يجب أن نفهم أن هذه النقاط لا تتعايش معها، ولا تتعايش مع أي أمر سلبي.

4. يقول الله عز وجل:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7]

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ ماذا يعملون؟

﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ هل لأنهم ببساطة ما كانوا يعرفون؟ جهلة؟ لا،

﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ فهؤلاء الأشخاص ليسوا بريئين،

مثل الناس التي تدخل في جدل وتضرب لك آية مع حديث، مثل الناس التي تقدم

برامج فضائية يقال عنهم مفكرون إسلاميون ولما تسمعنيهم تقولين هم أبعد ما يكون

عن هذا المسمى، لما ترين الصدمات المتتالية لأن هناك أناس يتبعون ﴿مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ من الكتاب،

والله عز وجل يقول أن في كتابه آيات محكمات الكل يعرفها،

وهناك آيات متشابهة لا يعرفها إلا أولوا العلم، فلا بد أن ترجع إلى أهل التفسير،

للصحابة الذين نزل عليهم القرآن، لسنا نحن الذين جئنا بعد قرون نفسر القرآن على هوانا،

ونحن الذين لم نحضر حوادث النزول، ولسنا متضلعين بالعربية مثلهم، ومع ذلك تسمع

من يأتي ويقول سنفسر القرآن بنظرة معاصرة، يقلب لك كل الآيات بمعنى مختلف تمامًا

ليس من حقه! ونحن في مواقفنا اليومية لو حصل وجاء أحد يتكلم عن موقف أو حادثة معينة،

نقول له إذا لم تشاهدها فلا تتكلم. صحيح؟ وهذا فقط على موقف،

نقول إذا لم تره بعينك وتسمعه فلا تحكم على شيء لم تحضره، فالكلام للناس الذين حضروا

وشهدوا، هذا هو موقفنا البسيط تجاه هذا الأمر، فكيف لما يأتي شخص بعد ألف وأربع مئة

وتسعة وثلاثين سنة من هجرة النبي عليه الصلاة والسلام، ويقول: لا، ما كان النبي عليه الصلاة

والسلام يقصد كذا! هو ما كان كذا، أنت من تكون أصلًا لتقول هذا؟ أنت من تكون حتى تقول أن

النبي عليه الصلاة والسلام كان يقصد أو لم يقصد، أنت لم تحضر ولم تشهد!

فكيف ترمي بكل كتب تاريخ السلف والحديث التي دونت؟

ومن أشهر علوم الحديث شيء اسمه علم أصول الحديث، كأنه فيزياء الحديث من المعادلات التي يضعونها لاختبار صحة الرواية والحديث، ومتى يكون صحيح ومتى يكون معلول، ولو أخطأ في "إن" أو أخطأ في "حرف الواو" أصلاً يسقط الحديث تماماً إلى آخره. فلما نتكلم أن هناك أناس **﴿قَيِّبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾** فهذا ليس براءة منهم ولا تخبطاً، إنما يريدون التأليف في هذا الدين.

وحقيقةً فالموضوع ليس سهلاً ولا بسيطاً، وديننا يتعرض في عصرنا اليوم لهجوم من كل الأطراف، وهو الوحيد من بين الأديان الذي يتعرض لهذه الهجمة الشرسة، ولكن دين الله هو الباقي **﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نَوْرَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾** [التوبة: ٣٢]، فالله متم نوره، بغض النظر عن كل شيء، وهذه قاعدة ويقين، لكن الشيء الأهم هي ألا تكن في الجيل الذي تسقط أو تُطفأ فيه هذه الأنوار، بل كن من الناس الذين تمسكوا بهذا النور إلى أن يأذن الله عز وجل بإتمام هذا النور بأكمله.

هناك حسابات ومواقع همها الوحيد أن تضرب في دين الله عز وجل،

أحياناً بعض هذه الحسابات يكون المتابعون لها بمئات الألوف، ووظيفة هذا الحساب في تويتر أو أي برنامج آخر هو أن يأتي بأي آية أو حديث يكثر عليها الكلام، ويقوم بتأليفها لك بنظرة مختلفة تماماً، لم تُسمع لا في عرب ولا في عجم، لا في أول الأمر ولا في آخره تماماً.

من الأمثلة على هذا آية الحجاب، قوله تعالى:

﴿وَأَلْبِصْرَيْنَ بِخُمْرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: 31]

والخمار معروف تماماً في اللغة العربية (خمرت العجين: غطيته)، ولا أحد يفهم من موضوع التخمير وضع الغطاء حوله، إنما التخمير أن تضع الشيء فوقه، ولما تقول: ضربت المفروش على الطاولة، لا يعني أن قد حوطيته،

إنما معناها وضعته فوقها وغطيتها، هذه اللفظة العربية

﴿وَلْيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾

يعني خذي الخمار وتغطي فيه إلى أن يصل على جيبك، فلما يأتي أشخاص لا يعرفون

من اللفظة العربية شيء، ويقولون: ﴿وَلْيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ يعني أن الله يريد منا

الحشمة فقط، ويريد أن تأخذي الشال وتضعيه على صدرك فقط!

وبالفعل هذا مثل الباكستانيين يلبسون البنجابي ويضعون الشال على الصدر، أنت لو فقط أكملت

في الآية سطرين آخرين، يقول الله عز وجل عن سبب التنزيل والحكمة:

﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: 59]

إدًا لأجل ألا تعرف، ولما نفهم هذا الكلام نعرف أنه صريح لا نستطيع التأويل عليه،

مع العلم أن موجة الكلام عن الحجاب أمر جديد، فلا تحسبون أن اللاتي يغطين هنّ في

السعودية فقط، أو الوهابية! الإعلام يكذب!

المشكلة لما تدخل في نقاش عن الغطاء، فيقال لك: يعني مصر وسوريا كانت خطأ؟

كل العالم الإسلامي خطأ ونحن الوحيدون على الصواب؟!

لا هذا كلام غير صحيح، لأن الغطاء كان موجودًا عند الجميع،

وانظر إلى أهل المغرب وأهل الجزائر قبل الاستعمار وحتى في وقت الاستعمار،

كل هذا الكلام حديث من لا يفقه الأمر، وحديث بُني على ما حدث في المئة سنة الأخيرة

التي صار فيها موضوع كشف الوجه وغيرها متداولًا، أما قبل هذا كله حتى في الأفلام

الوثائقية التي تصور تلك الفترة تجدين النساء كلهم بالنقاب والغطاء، أيام الدولة العثمانية،

في أوروبا، في القرن الثامن عشر، شاهدي مقطعًا للباس المسلمات في القرن

الثامن عشر، بالأبيض والأسود يعني شيئًا ليس قديمًا جدًّا،

شاهدهم في أوروبا وفي أي مكان آخر،

كان الموضوع غير قابل للنقاش حينها.

ولقد كنت أقرأ في كتاب عن هذا الموضوع،
كان يناقش سبب قلة الكلام عن هذا الموضوع "الحجاب" فيرد على من يقول لو
كان هذا الموضوع مهماً لمّ لم ترد فيه آيات ولم تؤلّف فيه كتب؟
فيقول: لأن هذا الموضوع كان غير قابل للنقاش، ما طرح إلا بعد الاستعمار وفي السنوات
المتأخرة، كأننا نتكلم مثلاً عن إذا كان هناك كتاب عن جواز شرب الخمر أو لا!
أو مثلاً كتاب يتكلم عما هو القدر الواجب في شراب الخمر وما هو المكروه منه!
لا يوجد شيء كهذا! لأنه محرم وانتهى، لا يوجد شيء يمكن بصدده أن يؤلّف، فكان الكتاب
يقول أنه لم يُصدر هذا النقاش فعلاً إلا في السنة الأولى في القرن الأخير، من بداية القرن الثامن
عشر الذي بدأنا فيه بعد حوادث الاستعمار وغيرها.

إذاً عندما يتعرض الدين إلى هذا الكم من التحريف والكلام والنقاش
فهل هذا الكلام فيه مسلمات من الدين بالضرورة؟ ونبدأ نحن نتحدث في هذه القضية،
و يا ليتها تقف إلى هنا وتنتهي، لا! فبعضها يمس صلب دينك وعقيدتك،

أحد الحسابات كان يتكلم عن آية

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ

أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]،

الآية واضحة ولا تحتاج لأي شرح، اليهود والنصارى لن يرضوا عنك أنت كإنسان إلى

أن تتبع ملتهم، حتى تصبح مثلهم، حتى تكفر وتلحد، قد يرضون عنك حينها،

فلا يريدونك أن تتميز بدينك أو صلاتك!..

وهذا الحساب يتناول هذه الآية بطريقة مختلفة، بأن هناك حب إنساني وحب يشترك

فيه البشر أجمعهم، يريد أن يخفف من وقع

الآية على النفس!

ونحن لدينا القرآن منهج حياة، يضع لنا الضوابط، فهم هؤلاء اليهود والنصارى الذين نعرف، وفي المقابل نحن مأمورون بالإحسان إليهم، وبمعاملتهم، لكن هناك فرق بين حسن المعاملة وبين الميل القلبي لهم، فما بال من يروج للوحدة بيننا وبينهم وأنا نحن وهم شيء واحد! وأن بعض العبارات التي تقال لهم هي من التعايش المحمود، مثلًا (ميري كريسمس)، لا، أنت تحتفل معهم بشيء ليس من الديانة، وتقول كلمة كبرت عند الله من هذه الكلمات التي تُدك لها الجبال! إذًا هناك أناس تلعب في دين الله عز وجل! واعلم أن الدين أنت تعتقده وستحاسب عليه يوم القيامة.

5. أن يفتن الإنسان نفسه حين لا يثق في نفسه، وهذه الثقة ليست ثقة الدورات بأن يكون واثقًا بنفسه فقط! لا، إنما تكون عنده قابلية للفتنة وأنه سيسقط! وهو أساسًا قبل أن يبدأ بأي شيء هو جاهز للسقوط، فو يعتقد أنه لو حصل له أي شيء فمن المؤكد أنه لن يصبر وأنه سيفتن! وهذه النقطة مهمة جدًّا، يحكي الله عز وجل عنها في سورة الفاضحة، سورة التوبة، سميت بالفاضحة؛ يقول الصحابة فلم يزل الله في هذه السورة يقول: ومنهم، ومنهم حتى خشينا أن يذكرنا بأسمائنا! لأن هذه السورة بالذات نزلت في المنافقين، فهذه السورة مرجع لصفات المنافقين. يقول الله عز وجل عن بعضهم: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ ائْذَن لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩].

ذا الرجل قال: يا رسول الله ائذن لي فإنني لا طاقة لي بنساء بني الأصفر! يعني أن أذهب معك وأرى النساء الشقراوات والبيض وأنا أعرف أنني لن أتحمل فلا أستطيع الجهاد معك، ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ ائْذَن لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ لماذا؟ لأن الحياة أنت تستطيع أن تعيشها في مكان معزول عن هذه الفتن،

لكن القضية أن تكون عندك القابلية لأن تُفتن، وتكون مستعدًا لها!
بحيث لو أنها واجهتك تقول حينها أنا لا أقدر وأنا سأسقط في هذه الفتنة!
فلا تجرب خوضها، ولا تحاول، لكن لو حصل وصارت هذه المواجهة،
يجب أن تكون أقوى من أن تسقط!
لذلك القضية ألا تحاول دفع هذه الفتنة بجهدك فقط! وليس لكونك قوي أو ضعيف،
إنما لأن النفس وحدها قد تخون صاحبها في لحظة ما لولا
القوة التي يمد الله عبده بها.
لذلك من تقول: أنا سأكون في مكان مختلط مثلًا، وعندني أصحاب شباب موجودون،
ولا توجد مشاكل لأنني قادرة على التحكم بنفسني! فنصيحة للحياة:
لا تعطي نفسك أكبر من حجمها، لأن نفسك من الممكن أن تخونك في لحظة لا تتخيلها!
ولذلك هناك ناس أبطال سقطوا في امتحانات لا يسقط فيها الضعيف، امتحانات كانت من
النوع الخفيف، وهؤلاء سقطوا فيها لمجرد أنها وافقت لحظة ضعف،
فما استطاع أن يواجه هذه الفتنة، فلما نقول لك ألا تجرب، ولا تضع نفسك في
مكان كالزيت والنار بجانب بعض،
لكن لو حصل لا تحكم على نفسك أنك تعرضت لهذا الموقف، وأنت ستفرق فيه،
وأنت تلتخت وتلوثت فيه، لا بالعكس بل استعن بالله عز وجل، وتذكر ما حصل مع يوسف
عليه السلام مع امرأة العزيز لما قالت له: هيت لك! وكان الموقف عصيبًا جدًّا،
وهو شاب جميل، وامرأة العزيز بكل عنفوانها وقد غلقت الأبواب كلها وقالت له:
هيت لك، كل شيء الآن جاهز!
لكن لما يقول هو: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [يوسف: 23]
يقول الله عز وجل في الآيات في آخرها: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ [يوسف: 24]
فالذي صرفه ليست عفة يوسف فقط، وليست قدرته البشرية أنه قال لا فقط،
لأنه في واحدة من اللحظات كان من الممكن أن يضعف

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا اَنْ رَّآى بُرْهَانَ رَبِّهٖ كَذٰلِكَ لِنَصِرَفَ عَنْهُ السَّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ

اِنَّهٗ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِيْنَ﴾ [يوسف: ٢٤]

قال هو: ﴿مَعَاذَ اللّٰهِ﴾ منع نفسه، لكن هذه النفس ليست بتلك القوة التي تمنع نفسه في اشد لحظات **الضعف**! إنما هو الإمداد يأتيك من الله، والإمداد هذا قد يصبح في

لحظة مثل السور بينك وبين الحرام، ويكون هو الذي يعيد لك تفكيرك،

وينبهك على فعلك، هذا هو البرهان الذي قال الله عز وجل عنه:

﴿لَوْلَا اَنْ رَّآى بُرْهَانَ رَبِّهٖ﴾ [يوسف: 24]

موقف قد يحصل لك وفي لحظة تشعر كأن أحدًا فتح النور فجأة!

كأن صوابك أعيد لك فجأة، وجعلك تتساءل لماذا أنا هنا؟ وماذا أفعل؟

هذا الشيء هو الإمداد الإلهي الذي جاءك بلحظات، وهو بركات العمل الصالح الذي

ادخرته للأوقات الصعبة، لذلك لا يكون الإنسان عنده القابلية للفتنة والقابلية لأن يسقط!

أنت أقوى مما تتخيل، لكن ليس نفسك! أنت قوي بالله عز وجل،

ولذلك ركنك مع الله يجب أن تركز إليه دائمًا، وحولك وقوتك ليست حولك وقوتك أنت،

لأنك أنت لا تستطيع تنفيذ قراراتك لوحدهك، حتى لو قلت أنا سأتوب من شيء ما،

فلا تجعل المعركة بينك وبين الشيطان، الشيطان قوي! لكن اجعل المعركة بينك

ومعك الله ضد الشيطان،

والشيطان لا يمكن أن يكون في كف والله عز وجل معك في كف، حينها يطيش الشيطان

ويضيع لأنه لا يمكن أن يكون في مكان يرى الله عز وجل وجبروته فيه.

فمن المهم هنا أنك لما تدافع أي موقف تدافعه ليس لهواك الشخصي،

ولا لقرارك، ولا تظن أنه قرارك الشخصي فقط! لا، لكن وأنت مستعين بالله،

وتدعي ربّ أعطني القوة، وأعطني القدرة لأن أقول لا في هذا الموقف وصبرني،

وهذه امتحانات الله يمتحننا فيها في

كل خطوة من هذه الخطوات.

5. لا تفتن نفسك بالنظر إلى الخلق،

مشكلتنا اليوم لو افترضنا لها نسبة معينة فإن 80% من مشاكلنا اليوم هي لأن الناس ينظرون إلى بعضهم البعض، والحياة ووسائل التواصل ساعدت بهذا الشيء، فكل أحد يقارن حياته بحياة الآخرين، يقول الله عز وجل في هذه النقطة بالذات لنبيه ولأمته من بعده: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: 131]

فانظر إلى الآية بماذا تبدأ؟ ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾!

ما الذي كان عند النبي صلى الله عليه وسلم أصلاً؟

وما المغريات التي كانت في تلك الحياة؟ يعني النبي عليه الصلاة والسلام

لو أسرح ناظره في أسوار المدينة، فما ذاك القصر الذي سيراه؟

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

فالله عز وجل سمى الحياة الدنيا بأنها زهرة، مثل الوردة المتفتحة، وما الذي كان عندهم

في المدينة أساساً من مغريات الدنيا؟ فيبوتهم طين وفراشهم حصير!

لا تتكلم عن دنيا عظيمة كانت موجودة!

ومع ذلك الله عز وجل كان ينبّه نبيه أن عينيك لا تمدّها! لا تمدّها على الدنيا

﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لأن الدنيا عبارة عن فتنة.

فإن كان هذا الكلام يُقال في ذلك العصر الذي ما كان عندهم فيه شيء أساساً،

ولا عندهم لقطات تكبر ولا شاشات تصور، الموجود هو أسوار من الطين وتراب

يمشون عليه، وخيول ودواب وبغال! هذه كانت حياتهم!

ومع ذلك كان الله عز وجل ينبّه أن ركّز في حياتك، ولا تمد عينك ولا تطالع هذه الدنيا التي حولك،

لأنك لما تمد فأنت دائماً ستنظر إلى حياتك بالقلّة وتعتقد أنك لا تعيش مثل الناس، فتتصاغر كل

نعمة أنعمها الله عليك، فتتصاغر أمامك نعمة البصر وأنك ترى بعينيك، ونعمة الشبع وأنك لم تبيت

بجوع، ونعمة عيشك في أمن وأمان، فكل النعم تتصاغر، ولا تطالع حينها إلا الشيء الذي فقدته،

مع ندب الحظ بأن هذا الشيء غير موجود عندك، ومحروم منه.. إلخ!

ولو قارنتها فقط بما أنعم الله عليك من الصحة والعافية تجد أنه لا مقارنة بينهما؟
لماذا؟ لأننا مددنا أعيننا وتابعنا حسابات بالآلاف، تنتقل من حساب إلى حساب نرى
أصحابها كيف يعيشون، وهؤلاء مسافرون وهؤلاء محتفلون،
ونحن ما سافرنا وما احتفلنا!

فما الذي يحصل بعد مطالعتنا لهم؟ ويا ليت أن ما نشاهده هو من باب الفضول فقط،
لا! فأنت بعد مشاهدتك لهم ترجع محملاً بمشاعر الغضب، والسخط على طريقة معيشتك معتقد أن
هؤلاء هم الذين يعيشون الحياة بالشكل الصحيح، وهم الناس السعداء،
لأنهم بدون حجاب، أو سعداء بحياة الرقص والأغاني، أو عمليات التجميل،
وأنهم هم الذين يعيشون الحياة الحقيقية، ولو أتاك أي أحد وكلمك عن الله أو عن الدار الآخرة
أو الجنة، تنظر إليه باستغراب، وكأنه من عالم آخر! مع أن حياتنا الحقيقة ليست
في هذا العالم الذي نعيشه الآن،

إنما هي أيام، وأحدنا يذهب قبل الآخر إلى الحياة الحقيقية هناك، لأنه حتى السعداء والمرفهون
في هذه الحياة غير مخلدين، ستأتي عليهم لحظة ويطفأ النور، والقضية هنا تكون من الذي استعدّ
لهذه اللحظة؟ إذا لا تفتن نفسك بالنظر إلى الخلق

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا قَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]،

إذا هناك دار دنيا وهناك دار آخرة، ولو أسألك الآن بكم تشتري بيتك في الجنة؟
أو أسألك تريد شراء دار في الدنيا أو دار في الآخرة؟ ستقول بالتأكيد دار الآخرة،
وهو جواب عقلي ومنطقي لأننا سنكون هناك أبد الأبد، ونحن في الدنيا
لا نعرف كم المحكوم علينا لنعيش!

ست وثلاثون سنة وأشهر؟ أو أربع وأربعون سنة!

الكل يعلم أن الدنيا ليست دار خلود، ولو أتاك مَلَك وأنت في غرفتك جالس
وقال لك أن الله أمرني بتخييرك أن نعطيك الدنيا وتعيش فيها معيشة
أعظم إنسان في العالم وعندك كل الملك،

أو معيشة عادية في الدنيا ويعطيك الله ما أردت في الآخرة فماذا ستقول؟!
 يعني هل أحد منا ولو كان أسوأ إنسان في الدنيا، هل هناك أحد يختار الدنيا؟
 لا أحد يختارها، من الممكن أن تقول أعطني القليل في الدنيا ولو بأي شكل والباقي
 في الآخرة المهم أن يكون عندي شيء هناك، سيقول لك بالتأكيد ربح البيع!
 ويخرج من عندك هذا المَلَك وأنت سعيد فحتى لو أتى ما ينكد عليك وينفص عليك،
 فأنت موعود بالآخرة، ومع أن هذا الحديث خيال، لكنه قريب من الواقع وحالة نعيشها،
 إذًا فالمفترض ألا تأخذ الدنيا أكبر من حجمها اللازم، خذ منها الموجود والكفاية،
 ولا تجعلها تأخذ منك أكثر من حجمك، فلا تُميت نفسك عليها، لأنها لا تستحق،
 ولأن هذا الوقت سيمضي ويذهب، وسنعيشه بكل آلامه وأفراحه وأحزانه وينتهي،
 وكلما تقدمت في العمر فهذا يعني أنك اقتربت من النهاية أكثر، لو جاوزت 30 سنة يعني
 أنك قاربت، ولو جاوزت الأربعين يعني قاربت أكثر وهكذا، وكلنا لا نعلم هل الباقي
 من أعمارنا أقصر مما ذهب أو لا؟

يقول الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَضَرُّونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان:20]

ففي هذه الآية جعل الله سبحانه الناس بعضهم لبعض فتنة،
 فأحيانًا الإنسان في محيطه القريب يظن أنه صابر وأن كثيرًا من الأشياء لا تهمه،
 وفجأة يصير في حياته إنسان لم يكن في حسبانته، إما شخص يتابعه في وسائل التواصل،
 أو موجود معه يقابله في عمل أو من الأقارب، فدائمًا ما يذكره بالدنيا، ويشعل شعورًا
 بالمنافسة الشديدة بينه وبين الشخص، فإذا رآه شعر أن الدنيا تتحرك فيه،
 وشعر بالدونية وأنه لم ينل ما ناله،

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَضَرُّونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾

والموقف الذي يحدث لم يغب عن الله عز وجل، فهو يراك ويرى ما تفعل وكل أفعالك محسوبة
 عند الله عز وجل، إذًا المهم ألا تعطي الدنيا أكبر من حجمها!

وأختم هذه النقطة بقصة الأقرع والأبرص والأعمى، تذكرونها؟
كانوا مبتلين، الحديث يقول: (فأراد الله أن يبتليهم) هم مبتلون أساساً،
فالله أراد أن يبتليهم لأن الابتلاء الحقيقي ليس ابتلاء الدنيا،
إنما الابتلاء الحقيقي هو ابتلاء الدين، فأحدهم أقرع والثاني أبرص والآخر أعمى،
كله ابتلاء جسد، ولكن كان في قلوب بعضهم قذارة ونقط سوداء ما ظهرت إلا بعد أن
عافاهم الله، ورد للأقرع شعره، وللأبرص جلده، وللأعمى بصره، وأغناهم من فضله،

فمر عليهم مَلَكٌ أتاهم على صورة رجل فقير، فذهب إلى الأبرص بصورة أبرص، وذهب إلى
الأعمى بصورة أعمى، وذهب إلى الأقرع بصورة أقرع، يعني ذهب إلى كل واحد على صورة
البلاء الذي كان فيه، فقال للأبرص: أعطني مما أعطاك الله فإنك كنت مثلي،
فقال الأبرص: أنا لم أكن مثلك إنما ورثت مالي كإبراً عن كابر،
وقال الأقرع الشيء نفسه، وكل واحد منهم استتكف،
وجد ما كان فيه من بلاء وغرته نعمة الله عليه والمال الذي أعطاه،
لكن من الذي نجح؟ الأعمى، فلما قال له: فإنك كنت مثلي،
قال: نعم والله كنت مثلك،
فأخذ بنصف ماله وأعطاه ذلك الفقير،

فرضي الله عنه وسخط على صاحبيه، رسبوا هم في الامتحان، فلو وقفت دنياهم على
ابتلائهم الأول ابتلاء الجسد كانوا قد تعدوا الدنيا بخير، لكن لما ابتلاهم الله في دينهم اثنان
منهم لم يصبروا وواحد منهم نجح، فلا تتخيلوا أن الدنيا مما يحمد التنافس عليها، فهؤلاء
كانوا بخير لما لم تكن عندهم الدنيا، ورسبوا لما فتحت عليهم، فندرة من البشر
الذين ينجحون في امتحانات الرخاء.

وهي آخر نقطة من هذه النقاط، أن تسمح للشيطان أن يفتنك،

ولاحظوا أن كل النقاط التي قبلها كان الإنسان هو من يفتن نفسه، أما هذه فهي أن تسمح للشيطان أن يفتنك، ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ آبَوَيْكُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: 27] فإذا كنت تعتقد أن الشيطان يسكت فأنت على خطأ، فهو لن يسكت ولن يسمح لك بأخذ أي قرار صحيح في حياتك وسيجلس لك في أي قرار، يعني مهما كان صغير يصعبه عليك، ويثقله، ويأتي بجيشه ورجله، وبكل ذكريات الدنيا وكل الطموحات التي أمامك ليثنيك، وليقنعك أنك لست كفتناً لهذه الخطوة!

يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ ثَلَاثَةَ مَقَاعِدٍ: قَعَدَ لَهُ فِي طَرِيقِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ: أَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَتُسَلِّمُ؟ فَخَالَفَهُ وَأَسْلَمَ. وَقَعَدَ لَهُ فِي طَرِيقِ الْهَجْرَةِ فَقَالَ لَهُ: أَتَذَرُ أَهْلَكَ وَمَالَكَ فَتَهَاجِرُ؟ فَخَالَفَهُ ثُمَّ هَاجَرَ. وَقَعَدَ لَهُ فِي طَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ لَهُ: تَجَاهِدُ فَتَقْتُلُ وَتَنكَحُ أَهْلَكَ وَيَقْسِمُ مَالَكَ، فَخَالَفَهُ فَجَاهَدَ فَقَتَلَ فَحُقَّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ) [صحيح]

فالشيطان لا يتركك من الخطوة الأولى لا، بل يحاول فيك في كل مرحلة وخطوة من خطواتك، فحتى لو جاهدته فلن يقول هذا لا فائدة منه وهو مصر على ما هو عليه، لا بل يأتيك في الخطوة التي بعدها ويوسوس لك: أنت متأكد؟ أنت كفاء لهذه الخطوة؟ ويحاول أن يردك في كل مرة، حتى إن عاكسته فهو يستمر معك إلى آخر لحظة من لحظات العمر!

أحمد بن حنبل رحمه الله حين موته كان الشيطان واقفاً عنده يقول: قُتِنِي يَا أَحْمَدُ قُتِنِي يَا أَحْمَدُ، فكان الشيخ ينظر إلى الشيطان ويقول: لا بعد، لا بعد، ثم يغمى عليه في سكرات الموت! وكان ابنه يراه يفعل ذلك، فلما أفاق قال ابنه: يَا أَبَتِ مَا لَكَ تَقُولُ: لا بعد؟ قال: إن الشيطان يتمثل أمامي عاضاً على أصابعه، يقول: قُتِنِي يَا أَحْمَدُ قُتِنِي يَا أَحْمَدُ، يعني ما قدرت عليك ولا أخذت منك شيئاً! والشيطان بالطبع لم يكن يتقدم إنما هو جالس للإمام أحمد بالمرصاد يريد أن يفوز منه بلحظة عجب، ليقول أنني انتصرت فيها بحولي وقوتي، فهو كان يريد أن يسحب من الإمام أحمد كلمة، لو كلمة واحدة!

ونحن؟ إذا كنا في حال صحتنا وقوتنا لم نستطع أن نقول للشيطان لا، فهل نتوقع أننا في لحظات الضعف وسكرة الموت وجهاد نطق كلمة أشهد أن لا إله إلا الله، هل نتوقع أن الشيطان سيدعك تقولها؟ هناك أناس يقولون كلام لا تتخيله! بعضهم يفضح نفسه قبل أن يموت! يقول أشياء لا يعرفها عنه أحد، ويخرج حينها العمل الذي خبأه للشيطان، إذا فهذه وظيفة الشيطان أنه لا يتركك حتى تموت، حتى تنزع الروح، فهو الشيطان يفتنك، فلا تسمح له أن يفتنك، واجعل لك دونه حاجزاً منيعاً.

يقول الله عز وجل في اللحظة التي عصى فيها آدم وحواء بسبب الشيطان:

﴿قَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: 22]

فأنت لا يدلك الشيطان ويشعرك أنه آخذ بيدك ويسحبك، لا بل هو خلفك يشجعك ويقول لك: تقدم خطوة قليلاً، تقدم لماذا تخاف؟ تقدم...

فالشيطان لم يكن في يوم ما أمامك، إنما هو خلفك يدفعك ويدلك ويوجهك،

اذهب يميناً، اذهب يساراً، انح قليلاً إلى هناك،

خذ الخطوة الفلانية... إلخ، وكأنه يجلس وراءك عند أذنك،

وذلك مصداق قول النبي عليه الصلاة والسلام:

(إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ) [صحيح]

فيا ليتته موجود خلفك وتراه بقرونه وسواده وتخاف منه لتحذر من وسوسته، إنما هو يجري فيك،

وهذا من امتحان الله عز وجل، وفوق هذا كله يقول الله عز وجل:

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 76]

ويقول: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الإسراء: 65]

فأنت لما ترى الشيطان يجري فيك، ويسقطك بالعثرات عثرة وراء عثرة، فاعلم أنك ضعيف، وشيطانك

أقوى منك، فماذا أفعل إذا كان شيطاني أقوى؟! لابد أن تقوّي نفسك،

لكن لا تسمح للشيطان أن يأخذك! وهذا القرار ليس بسيطاً، هذا قرار مصيري،

تعتمد عليه دنياك وآخرتك وحياتك وجنة الآبدين! ولذلك هذا قرارك، ومن المهم أن تحدد

كيف تود أن يكون حجم دائرة الشيطان في حياتك؟

الحل والعلاج:

ما سبق كان كله نقاط تتعلق في كيف يفتن الإنسان نفسه؟
ونختم حديثنا هذا كله بعلاج، فما المخرج؟ والمخرج في آية واحدة فقط، يقول الله عزوجل:
﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[النحل: 110]

وانظر إلى كرم الله في هذه الآية، فهو لاء أناس افتنوا وسقطوا في الذنب،
لكن الحياة لم تنته بهم، وهذا يعني أنك إذا وقعت في فتنة ومن فتنة إلى فتنة، وغرقت فيها
بالسنوات الطوال، عشرون ثلاثون سنة، تقول: كيف سأخرج منها؟
أنا عندي ذنب كبير، بل إن شعورك بأنه ليس لديك أعمال صالحة كبيرة، وأنت غير راضي عن حياتك،
وترغب في أن تكون إنساناً أفضل، ولهذا التغيير لابد من خطوات.

1. أول خطوة أن تهجر ﴿لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ تهاجر ماذا؟ تهاجر ذنبك،

فمن المهم أن تقطع كل صلة لك بذنوبك القديمة.

وهذه قصة واحد من الأثرياء جاء في رمضان عند أحد المساجد، ورأى الناس معتكفين،

وشاخ مع طلابه في مكان جالسين، فقال: ماذا تفعلون؟

قالوا: نحن في العشر الأواخر من رمضان، ومعتكفون هنا، فقال لهم:

أنتم هكذا جلوس طوال اليوم؟

قالوا له: نحن نجلس طيلة الأيام العشرة لا نخرج إلا ليلة العيد، قال: منظركم يدعو للحماس،

وقرر أن يعتكف معهم، فشجعوه، فقال لهم: لكني سأرجع إلى البيت لأجهز أغراضي التي

أحتاجها للمكوث هنا وأرجع، قالوا له: حسناً سنتنظر اذهب وعد،

فلما عاد إذا معه حقيبتين وملابس كثيرة للأيام العشرة! وتلفاز صغير،

ومأكولات وأقلام وأوراق وأشياء أخرى!

فالآن هو نوى أن يعتكف، لكنه أتى بكل دنياه معه!

فما هي إذا فكرة الاعتكاف؟

الاعتكاف يعني أن تقطع كل هذه الدنيا وتجلس ثلاثة أو أربعة أيام خلوة مع الله!

فأنت تخفف أصلاً من كل هذا، فترون الناس التي تعتكف في الحرم بملابسهم نفسها، ويفترش أحدهم إحرامه على رخام الحرم، ولا يهيمه لباسه ولا أغراضه، لأنها أيام قلائل ويعود لبيته ودنياه، فهذا الرجل لم يفهم مقصد الاعتكاف، فأتى حاملاً معه دنياه ولم ينو التغيير!

وأنت لما تريد أن تتغير وتأخذ خطوة في التغيير،

لا بد أن تعرف أن هناك أمور لا بد أن تتركها، وهناك ذنوب قديمة لا بد أن تأخذ فأساً وتقطع كل حبل بينك وبينها، والأبواب التي تعرف أنها ترجعك أو تجرك أو تهيبك لذنوب قديم أو شوق حاول أن تغلقها ولا ترضى أن تنظر فيها، ولا بد أن تعرف أن إمدادات قلبك إنما تأتي من سمعك وبصرك، فلما تتركين ما تسمعيه وتشاهدينه قلبك ينتظف، وطريق نظافة القلب هو التحكم بالمشاهد والمسموع، فمتى ما نظفته وتحكمت فيه نظف قلبك من الداخل،

فأول خطوة هي أن **تهاجر**، فاترك كل أرض السوء التي كنت فيها،

أي مكان سيء إذا دخلته وقدرتك، لا تذهب إليه، وأي مكان، وأي موقع،

وأي حساب أنت تعرف أنك إذا رأيت ينقلب عليك قلبك فأزيله من حياتك، لأن ألزم ما عليك حياة روحك، واجعل قرارك هو أنني أريد أن أنظف نفسي، وأبتعد عن أي سواد في الباقي من عمري، والحياة والله أجمل وطعمها أحلى بالقلب السليم، فلا تضيق على نفسك بخطوات الشيطان، وبالأمور التي يوسوس لك أنه لا حياة لك إلا بها، واذكروا حديث الذي قتل مئة نفس، ونصيحة العالم له لما قال: " **فمن يحول بينك وبين التوبة؟ اخرج من أرضك فإنها أرض سوء** " فأول شيء قاله له أن اخرج من مكانك، لأن مكانك مكان سوء، يشجعك على القتل دائماً، ويثور فيك الدائرة الغضبية، فأنت لأجل أن تتوب توبتك الصادقة،

اخرج من أرضك إنها دار سوء.

2. الخطوة الثانية في قوله: ﴿ثُمَّ جَاهِدُوا﴾ لأن الطريق لم يكن سهلاً، صحيح؟

تبت لكن الشيطان لم يدر وجهه عنك،

فهو يقف لك في كل خطوة،

يجلس لك في طريق الإسلام ثم يجلس لك في طريق الهجرة

ثم يجلس لك في طريق الجهاد، ويمنعك كل مرة من ترك ذنب أو معصية،

ويقنعك بأنه لن يضرك ولن تكوني أسوأ إنسانة لو فعلته،

وكل ما جاهدته وأتيت لقطع حبل آخر من حبال الذنوب فإنه يقف لك

ويغريك بأن الحياة ستكون مملة حينها،

وماذا ستفعل بدونه، وحتى لو جاهدته فإنه يأتي لك في مرة ثالثة

ويقنعك بأن ما فعلته كثير في الماضي، ويحاول تأخيرك، ويوسوس لك بأن كل الذي

تركته فإنها مسألة وقت وسوف ترجع له وتكون أسوأ،

ويعمل على تئيسك حتى تترك ما أنت فاعل وكل هذه الأفكار يديرها لك

بطريقة منطقية وعقلية لتصدقيه، وهو معك على هذه الحال طوال الوقت،

لكنك أنت تستعين بالله عليه ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 76]

فله كيد لكن ضعيف! ولا يـضعف إلا لما تُقوّي حبالك مع الله عز وجل،

لو قوّيت حبلك مع الله تصاغر الشيطان،

يحكي عنه النبي عليه الصلاة والسلام:

(إذا سمع الشيطانُ الأذانَ ولَّى وله ضُراطٌ، حتى لا يسمع الصوت) [صحيح]،

يعني يتولّى وهو صغير، ويخرج منه صوت لأنه سمع الأذان!

طيب أين ذاك الذي يوسوس ويقنع ويفرني؟ هل بمجرد سماع الأذان خنس بسرعة؟

لأنه ضعيف! لكن لا تسمح له أن يتسلط عليك، ولا تتوقع في يوم من الأيام أن يتركك ويذهب، لا

بل هو موجود تنام وتستيقظ وهو لك بالمرصاد،

ولهذا يأتي الجهاد.

3. الخطوة الثالثة في قوله: ﴿وَصَبِرُوا﴾

فأنت عندما تجاهد الشيطان فالأكيد أن في ذلك ألم ومشقة،
لأنك قطعت حبلاً كثيرة، وقد تشعر بالفراغ فجأة وتساءل نفسك: هل أنا سعيد؟
أنا تركت كل شيء وأعاني من الفراغ ولم يعد لدي ما أفعله!
شعور الريشة في مهبّ الريح، ولحظات صمت يأتي فيها الشيطان ويستغلها
ليحرك فيك الآلام ويرجع ليقول لك هل كان قرارك بالترك صحيح؟ أنت سعيد الآن؟
حسبت أنك ستكون مثل أهل الالتزام وأحسن منهم، فشاهد حالك الآن!
ونقاشات ونقاشات.. إلخ،

والله يقول: ﴿ثُمَّ جَاهِدُوا وَصَبِرُوا﴾ فاصبر على هذه اللحظة،
ولكل تائب ضفطة، هذه الضفطة هي العصرة التي ينعصر فيها الإنسان،
وابن القيم يقول: "لابد لها من هذه الضفطة، وعلى قدر التوبة تكون الضفطة"،
والضفطة هي العصرة، أن تنعصر في بداية توبتك إلى أن تشعر أن روحك تختنق،
ولا تعلم هل ما فعلته صحيح أم لا؟ ولكن هذه العصرة هي التي تخرج كل ذنب قديم،
وتخرج كل السيئات، وتخرج الإنسان طاهراً مطهراً.

والنهاية! فإن بعد الجهاد والصبر جائزة عظيمة،

يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

فلا تتوقع أن الغفران والرحمة ولذة الإيمان ستشعر بها من بداية قرارك
وانتهى الموضوع، لا! بعضهم يقول: إن عشت عشرين سنة في الباطل، فخذ بعدها عشرين
سنة لجهادك هذا الباطل، ثم سل بعدها عن حلاوة الإيمان،
فأنت متّعت نفسك عشرين سنة بالباطل،
فخذ منك عشرين سنة أخرى لتتطهر،

وبعد العشرين سنة هذه سل عن حلاوة الإيمان،
والله أحيانًا لا يكلفنا هذا كله، وأحيانًا من أول يوم تأخذ فيه القرار
تجد الراحة والاطمئنان في صدرك،
الذي يجعلك تعيش العشرين سنة الثانية وأنت في جهاد، لكن حلاوة الشيء الذي
ذقته تجعل الإنسان لا يريد الرجعة بأي حال لتلك الحياة الأولى،
فهي حياة جهاد، فعمشرون سنة قد يجاهد فيها الإنسان وبعدها يثبت فيها
ويعيش حلاوة الإيمان حقًا، ولكن طوال هذه الفترة أنت تتذوق حلاوة طعم الانتصار،
أن تنتصر على شيطانك، فهذه من أجمل اللحظات التي يمر عليها الإنسان.

كانت هذه وقفات في كيف يفتن الإنسان نفسه؟

وكيف يعالج ذلك؟ من خلال قول الله عز وجل:

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

**أخيرًا: أسأل الله أن يصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأن يصلح لنا
دنيانا التي فيها معاشنا، وأن يصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا،
وأن يغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها،
وخير أيامنا يوم أن نلقاه.**

**هذا ما عندنا، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.**

*تنويه: مادة المحاضرة جُمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في
المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتناسب القراء وبما لا يخل بروح المحاضرة ومعانيها.